مقدمة

قد تخدعك البدايات، ولكن أحذرك من أن تفعل كما فعل أبطالنا؛ فقد تواجه مصيرهم في النهاية، أو الأسوأ، فأحذر.

الإهداء

إلى تلك الصديقة التي دائمًا أقول لها "أنا حبيت كلامك"، فهي أكثر من يحسن دعمي.

خطاب عشوائي

في السادس والعشرين من ديسمبر

استيقظت على طرقات خفيفة على بلور النافذة، وقذف أحدهم بمرسال استقر أسفل قدمي العارية. جثوت لالتقاطه، وكان مكتوبًا عليه: "ليس لأحد بعينه، أعطيه لأول منزل يقابلك". ورغم دهشتي من الكلمات، فلا عاقل يرسل خطابًا بشكل عشوائي، إلا أنه أثار فضولي للنبش في محتويات الظرف، وللعجب أنني كنت أول منزل يقابل ساعي البريد.

.....

ما دَوَّنَ داخل الخطاب.

لا أعرف من أين أبدأ، فمن بعدك أصبحت شريدًا تقسو عليه الحياة. ولكنه خطئ يا حُبي، وأنا أعلم ذلك يقينًا. سأخبرك بمكاني الآن، إنني أقبع أمام البحر، حيث الشاهد الأول والأخير على أحاديثنا، حتى حديث الفراق ويذكرني كيف وصل بنا الحال، ويقتبس نغمات صوتك وأنت تخبريني أنك لا تعاتبين أحدًا، فلا مكان للمغفرة في عالمك. وانا الاحمق لم أبالي، بل وأخطأت بحقك كثيرًا، ومع ذلك غفرت لي. لقد كنت أول من كسر قواعدك، وكنت واثقًا وآمنًا بأنك لم تتخلي عني، ولكن ذات يوم طفح الكيل بك، حتى أنك لم تخبريني بشيء. واستيقظت على هجرك. تلك الليلة حاولت إيجادك بكل الطرق، وكُنتِ مثل حرية البحر، لا أحد يراها، ولكنهم يؤمنون بوجودها. أدركت حقائق كثيرة بعد هجرك، ودرست

طباعك وكأني سأختبر بها مجددًا، مع أن موعد الاختبار قد ولى عليه الزمن. أنت هادئة، لا تعاتبين من يخطئ في حقك، وتستطيعين المسامحة مرة واثنتين، والثالثة تقع عقوبة النفي وترحلين بكل رقي. أما معي، فقد عجزت عن العد من كثرة أخطائي، وما كنت تكنينه لي من حب تسرب كحبات الرمل مع كل إثم ارتكبته بحقك. ومع آخر ذرة شغف في علاقاتنا حكمت علي بالنفي الأبدي والتحريم من رؤية وجهك الملائكي.

أتعجب حقًا من قدرتك على نسيان اسمي، وكيف، حين يذكر، لم تعودي ملهوفة لسماع أخباري. فإني تيقنت اليوم من محو ملامحي من ذاكرتك، فاليوم كنا متجاورين في محطة انتظار الحافلة، وأنت تحملين طفلًا جميلًا، نسخة من وجهك البديع، ولكنك لم تعرفيني. أتعلمين ما يحزنني؟ هو أن كلماتي دائمًا تحمل على ما مضى، وأنك لست بالجوار، ولست في حاضري، ولم تكوني في مستقبلي. أكتب لك هذه الكلمات بعد هذه الأعوام، وأنا أعلم أنني لم أرسلها، لكن رؤيتك اليوم أشعرتني أنني سأموت إن لم أعبر عن مكنون قلبي. وداعًا يا حُبي الوحيد، فقد أدركت حُبي لك بعد فوات الأوان. فهل يعود الزمان لنكون بأمان؟.

.....

"طويتُ الخطابَ وقد بعثَ حزنًا عميقًا إلى وجداني، جعلني أتمتم كفاقدٍ للعقل: لا والفَ لا، لا يعود الزمان ولا تُشفى جروحُ الفؤاد

الدار الاول لساعي البريد

في اليوم التالي اســتيقظتُ على نفس المشــهد الذي كان بالأمس. لم أكن أتخيل أنه قد يتكرر ذلك مرةً أخرى. اعتقدت أنه أراد التخلص من الخطاب الأول بعدما أفرغ فيه مشــاعره. وكعادتي الفضــولية، فتحتُ الخطاب لأطلع على ما دَوَّنَ فيه.

.....

اليوم قابلت صــديق قديم، كان هو وزوجته. لقد كانت زوجته رفيقة لمحبوبتي الضائعة، وسألتني عنها معللة عدم رؤيتها منذ أعوام. في تلك اللحظة، اقتبســت ابتســامة أظن أنها لم تفي بالغرض ولم تخف الآلام. في النهاية، أخبرتهم بفراقنا ورحلت، وعيناي لم تغفل عن دهشــتهم وعن تقلب وجه زوجته للغضــب. الآن تذكرت صــديقتها، وخمنت كم عانت من البعد، حتى أني شــعرت أنني إذا بقيت قليلاً أمامها، ستغرز أظافرها الشبيهة بالمخالب في وجهي، وما كان من حال لساني سوي الهمس بتلك المقولة: لا أحد يقول لي إنك ستقابل نسختك القديمة، أنا ليس لدي نسخ قديمة، ليس لدي هوية ولا انتماء، أنا منبوذ من الجميع.

وقررت أن أرسلها لك يا صاحب الدار الأول لساعي البريد، وأعتقد أنه عليك الاعتياد على خطاباتي التافهة، فقد وجدت ضالتي وراحتي في الكتابة على الأوراق والتخلص منها بهذا الشكل العجيب.

.....

رفيق

اليوم الثالث

.....

كيف حالك يا صاحب الدار الأول لساعي البريد؟ سأخبرك بما حدث معي مساء الأمس، فقد التقيت برفيق جديد، قررت أن أدعوه للعيش معي خاصًا أنني أجلس بمنزلي وحيدًا. سأحكي لك كيف تقابلنا على هيئة خاطرة، فأنا أحب تلك الطريقة لتعبر عما يحدث معي، بالرغم من أن حبيبتي لم تكن تحب تلك الطريقة، ولا أعلم إن كنت تحبها أو لا، ولكني أتمنى ألا أكون ثقلًا على كاهلك، هذا إن كان الدار له أصحاب، واحدهم يقرأ تلك الخطابات. فلآن، لا أعرف أين يرسى بها المصير.

خاطرتي اليوم عن ذلك الطفل أسفل النافذة بين الثلوج، ووقوفه بتلك الملابس البالية والممزقة، قدماه المتسختان بالطين، أما يداه الصغيرة فهي ملطخة بالألوان، يرسم بها عالمه المكون من ولد يرتدي ملابس ثقيلة وحذاءً طويل العنق. ما يثير الدهشة هو أنه يرسم ذاته، نفس العيون وتلك الشامة عند الذقن، نفس الأنف النحيف والشفاه الرفيعة. يرسم أحلامه، ويغطي جسده من البرودة بالطلاء، يفعل بالألوان ما لا يمكن أن تفعله تلك الأقمشة البالية على جسده. وتتساقط دموعي على وجنتي كقطرات الثلج بالخارج، ولكنها تُزيدني دفئًا وتزيده برودةً.

لذلك، خرجت له واستضفته في منزلي، أريد أن أكون يد عون في تحقيق أحلامه وشعوره بالدفء.

.....

أحياء رغبة

في اليوم الرابع

كالمعتاد، أرسل لي خطابًا، ولكن تلك المرة منثور عليه عطر نفاذ ذو ماركة فرنسية مع باقة ياسمين. ورغم معرفتي من محتوى الخطاب أنهم ليسوا لي، إلا أنني استمريت في استنشاق العطر ووضع الباقة في المزهرية، وأعيد قراءة المرسال بثغر مبتسم.

.....

أتعلمين؟ لستُ رسامًا، ولكن يمتلكني رغبة شديدة لرسمكِ. أريد أن أرسمكِ بنفسي وأضع ذاتي بجواركِ. أعلم أن هناك الكثير ممن يمكنهم تحقيق جزءٍ من هذه الرغبة، يمكنهم رسمنا بدقةٍ تجعلنا نظنّ أننا أمام المرآة. ولكني لا أريد أن يشاركني أحدٌ بكِ. أريد أن أكون أنا فقط من يخطط تفاصيلكِ على الأوراق، ولا يهم إن محوت الأخطاء لمئات المرات حتى تكونَ بالنهاية أنتِ. أريد مشاركة شعوري معكِ وإن كان بشيءٍ لا أجيده.

كتب هذا الخطاب إليك بعدما أحيى رفيقي الجديد الرغبة بداخلي في رسم وجهك الملائكي، ولكنني للأسف لم أتمكن من إرسال خطابي إليك، سيكون إلى صاحب الدار الأول لساعي البريد.

.....

الخطاب الأخير

اليوم الخامس

ذلك الصباح استيقظت باكرًا، أجلس حذو النافذة في انتظار ساعي البريد. أصبحت قراءة الخطابات عادة صباحية قبل بدء يومي. أتألم لما يمر به من فقدان لحبيبته، وأفرح لما يشاركه معي من يومه. كنت أعرف محتوى الخطاب إذا كان يتحدث عن حبيبته أو عنه من خلال العطر؛ مراسيله التي تتحدث عنه خالية من العطور وكأنه زاهد الحياة، أما مراسيل حبيبته فهي على أكمل وجه وكأنه يخشى أن تقع بين يديها فلا تكون على قدر من الجمال. لكن مرساله اليوم كان مليئًا برائحة سيجار عتيق وكأنه كان يكتبه بالأدخنة وليس بالأحبار، ويبدو أنه مر بليلة عصيبة.

.....

اليوم ذهبت في نزهة صغيرة، كنت في مرج واسع به ياسمين، فدنوت منه، واستمعت لهمسٍ مريرٍ يشكو غياب الغيث، فهمس قلبي إليه يشكو غياب الحبيب، وكلاهما يفتقد ما ينعش روحه.

أعلم أني لا أعرفك، وأخشى أنني أزعجتك بتلك الخطابات، لذلك كتبت تلك الكلمات الموجزة، أقطع عهداً على نفسي بأن أوقف ذلك العبث، ولا أعلم إن كنتُ قد أوفي بذلك العهد.

.....

افتقاد

مضت ليلة وليلتان وثلاثة، ولم أتلقَّ أي خطابات حتى أنني في اليوم الرابع بدوت مختلةً وأنا أخرج رأسي من النافذة. أوقف ساعي البريد وأسأله: "أليس لديك أي خطابات لي اليوم؟" وعندما لاحظت عينيه الجاحظتين شعرت بالخجل. عدت للداخل وأنا أغلق الستائر في عجلة من أمري. أعتقد أنني أثرت الفزع في نفسه، المسكين لا يعلم أن أحدًا يسكن بهذا الجحر الصغير، فأنا أسكن في الطابق الأرضي ونافذتي تطل على حديقة صغيرة، وفي المنتصف طريق ممهد يسير فيه المارة، ومن بينهم ساعي البريد.

في اليوم الخامس، قررت أن أكتب خطابًا له مدونًا عليه من الخارج "ليس لأحد بعينه، أعطه لآخر منزل يقابلك". عزيزي القارئ، أنت صديقي الآن، وإياك أن تفكر أن العدوى انتقلت لي وأنني سأرسل خطابات عشوائية كما فعل، بل إنني اتفقت مع ساعي البريد أن يرسله لصاحب الخطابات دون أن يخبره أنه مرسل عن قصد.

هبوة الأمل ما بعد اليأس

الرابع من يناير

اليوم أنا في أوج مراحل الاكتئاب، خسرت عملي وينتابني شعور أنني فقدت كل شيء والجميع يبغض وجودي، بينما يخيل لي أن جدران الحجرة تضيق على أضلاعي مسببة ضيق أنفاسي. وقفت أفتش في الخزانة حتى عثرت على ضالتي وأخرجتها. كان صندوقًا عتيقًا لعائلتي يتوارث عبر الأجيال، احتفظت به ببعض المقتنيات الثمينة، من بينها أربعة خطابات كان يفترض إرسالها إلى صاحب الدار الأول لساعي البريد، ولكني عهدت نفسي بعدم إرسال شيء.

أخرجت الخطابات وقررت إيقاد النار بها فلم تعد الأوراق كافية لتحمل ما أخبئ، وما عادت قادرة على احتواء حروفي البائسة لتعبر عما أشعر. لقد احترقت، وتناثر الرماد مع الرياح وأنا كذلك أريد أن تتناثر آخر ذرات من وجودي كلؤلؤ يلمع في السماء، لتكون آخر لحظات الاختفاء خاطفة للأنظار كتلك الظواهر الكونية الساحرة.

ابتعدت عن النافذة مهرولاً إلى الفراش لكي أغفو، ولا أريد أكثر من فقدان تلك الروح لكي تنعم بسلام في النوم الأبدي، ولكن حتى خدعة الهروب لم تنجح بشكل كافٍ، فقد دق الباب من قبل رفيقي الصغير يقدم لي مرسالاً مجهولاً. اعتدلت في فراشي والتقطته في لهفة أجهل سببها، أقرأ ما دَوَّنَ عليه من الخارج: "ليس لأحد بعينه، أعطه لآخر منزل يقابلك".

.....

ما دَوَّنَ داخل الخطاب.

مرحباً يا صاحب الدار الأخير لساعي البريد، اعذرني إن كنت أزعجتك، فقد انتشر في الحي إرسال خطابات من أشخاص مجهولين، وقد قررت اللهو معهم وإرسال خطابات بشكل عشوائي. لستُ جيدة في تقديم النصائح، ولكني قررت أن أفعل مع أحدهم ما عجز الآخرون عن فعله معي. سأقدم لك أثمن حوار قدمته لنفسي وجعلني أتفوق على كل الصعاب ولعلَّه يكون جاء لك في الوقت المناسب.

أنت لست شخصًا فاشلاً، لا تستمع إلى هذه الأصوات البائسة من حولك، بينما يمتلك اليائس منك وتصدق ما ليس بك. هناك من يتذكر لك موقفًا لطيفًا. هناك من كنت الورد الذي عطَّر طريقهم دون أن تعلم، وليس بالضرورة أن تتذكر هذا، ويكفي أن تكون نفسك راضية عن أفعالك. يكفي أن تشعر أن قلبك كالقطن الأبيض، لا يحمل أي شيء سيء تجاه هذا العالم. يكفي أن يصطفيك الله من بين عباده لتكون من الراضين والحامدين على حالهم. لا تجعل أحدًا يزرع تلك السموم في داخلك، وينقلب حالك لشخص كنود ناكر لكل جميل وساخط على ما حوله. لم أقُل لك: "انظر لنصف الكوب المملوء"، بل انظر بنظرة كاملة وتذكر أن ما أخذ لم يكن لك، ولكن ما بقي هو الخير لك.

.....

ارتفع طرفي الشفاه في شبح ابتسامة، وكأن هبوة من الضوء تسللت إلى فؤادي.

صاحب الدار الأخير لساعي البريد

فـي صـباح اليـوم التـالي، اسـتيقظت علـى طـرق رفيقـي الصـغير مرة ثانيـةً بخطـاب جديـد جعلنـي أعتـدل جالسـاً فـي حمـاس لمـا قـد تكـون خطـت أناملهـا هـذه المـرة. ولا يسـألني أحـد لمـاذا أخمـن أنها سيدة؛ فقد شعرت بذلك من كتابتها.

.....

"كيـف حالـك اليـوم يـا صـاحب الـدار الأخيـر لسـاعي البريـد؟ تـذكرت اليـوم اقتباسـاً عزيـزاً علـى قلبـي، فمـن بعـد تطبيقـه فـي حياتي، وهي أفضل. أحببت أن أشاركه معك:

"تـذكر دائمـاً أن الصـعوبات فـي البدايـة، أمـا بعـد ذلـك فهـو الانطـلاق؛ لا أحـد سـيقدر علـى إيقافـك، تشـجع وضـع قـدمك بـأي طريـق تريـده، وفـي النهايـة ستشـاهد تفوقـك علـى الصـعوبات. الأهم أنك لم تستسلم."

أتمنـى أن يكـون خطـابي ذو فائـدة لـك، وإن كـان هنـاك أمـر محتـار بـه فـلا تتـردد فـي الإقبـال عليـه، واصـبر حتـى تحصـد نتائجه.

.....

أغلـق الخطـاب مستشـعراً الراحـة فـي نسـيم الصـباح، عازمـاً علـى الاسـتمرارية فيمـا بـدأت، والتحليـق فـي السـماء بعـدما ظننت أنني سقطت في الهاوية."

ألا أستحق

السادس من يناير

اتكأتُ بساعدي على إطار النافذة أطالع السحاب. بالأمس كانت أحرفي تحتوي على دعوة خفيفة لإعادة إرسال الخطابات، وإن كانت حقاً تعني له شيئاً يصعب الاستغناء عنه، فسوف يرسل خطاب اليوم. ولكني أخشى أن لا يفعل، فيتفتت قلبي خذلاً.

مر الوقت ثقيلاً، وتأخر ساعي البريد. ولآخر دقيقة كانت عيناي تتقلبان بين الساعة والنافذة، لكنه خذلني تلك المرة. نهضت بتثاقل، أجري ذيول الخيبة ورائي حتى استعد لبداية يومي. ومع اقترابي من الخزانة، ارتطم شيء بمؤخرة رأسي من الخلف. التفت لألتقطه من الأرض، غير مصدقةٍ عيني، وتلقائياً تخرج قهقهة من فمي لا أملك السيطرة عليها.

قلبت الظرف بين كفي، تلك المرة كان العطر مختلفاً، ذا رائحة نفاذة. استرحت بالمقعد أروي عيني بكلماته.

.....

مرحباً يا صاحب الدار الأول لساعي البريد، أرجو أنك لست منزعجاً بخطابي وعدم وفائي بالعهد، ولكن جاءتني خطابات جعلتني أتساءل: ألا أستحق ربيعًا بعد عامٍ بين الثلوج، وأن تضحك لي الحياة؟ ألا أستحق أن أكون عصفوراً يغرد فوق الزهور، وأن أكون شمساً تنير الكون؟

إن لـم أكـن أنـا مـن يسـتحق، فمـن الـذي يسـتحق؟ أعلـم يقينـاً بعـدم معرفتنـا، ولكـن برأيـك مـن الشـخص الـذي لا يسـتحق فرصـة جديـدة؟ سـلامي إليـك إلـى أن نتلاقـي غـداً فـي خطـاب جديـد بـين الأحرف، وسأروي لك نزهتي اليوم ماذا فعلت بها.

.....

طويـت الخطـاب، اهمـس لـه: تسـتحق كـل شـيء ترغـب بـه، فـلا يوجد من لا يستحق إلا من يرى الآخرين لا يستحقون.

وقفـت أسـير لمكتبـي لأكتـب لـه خطـاب الغـد. سـأكتب لـه عـن أعقـد معادلـة فلسـفية فـي تـاريخ مشـاعر الإنسـان. سـأحدثه عمـا شعرت بين خطاباته دون أن يعلم؛ سيظن أنها مشاعره.

.....

أيهـا العزيـز صـاحب الـدار الأخيـر لسـاعي البريـد، اليـوم جئتُـك بحـوار فلسـفي أقامـه قلبـي فـي لحظـات مفارقـة بـين البهجـة والأسى، ولعلّك عندما تعلم حقيقتهم تتمكن من زمام الأمور.

السـعادة كالإكسـير، كذبـة كبيـرة تُظـن أنهـا تمـنح الخلـود الأبـدي. فقطـرة منهـا تـنعش روحنـا، وتجعلنـا نرغـب فـي التحليـق فـي السـماء، وقطرتـان منهـا يستعصـي علـى أجسـادنا احتواؤهـا، فنقفـز مـن مكـان إلـى آخـر، وتـرن الضـحكات مـن حولنـا، فتكـون البهجـة كفراشـة وقفـت علـى القلـب، لا يـؤذي وزنهـا وتدغـدغ الروح.

بينما الحزن، فهو أصدق الأحاسيس وأكثرها ثقلاً على القلب. يتلبسانا حالة بؤس تقيد أرواحنا، فلا تبكي وتبقى أجسادنا كبركان خامد، وقلبك المسكين تائه ومتألم.

انظر يا عزيزي، لا يحتاج الحزن لحدث كبير ليكون ضيفك الثقيل كل ليلة، يكفي أن تقرأ مشهداً حزيناً، يكفي الاستماع لكلمة مزعجة، ولا سيما أن روحك سئمت التنكر وتريد البكاء، كل صغيرة وكبيرة كافية أن تجعلك تشعر به.

وما بين الحزن والسعادة، ميزانٌ من التفاؤل وفقدان الأمل. نصيحتي لك: لا تجعل الميزان يختل.

.....

انسحاب

في صباح اليوم التالي

تبادلتُ أنا والساعي الخطابات، وقمتُ بدسّ الخطاب في الحقيبة. أوصدتُ الأبواب خلفي، ثم أخذتُ أمضي في سيري إلى هضبة منبتة بالعشب الأخضر. وقد قررتُ أخذ نزهة صغيرة، وقرأتُ خطاب اليوم على غروب الشمس. وعند الغروب، جال في خاطري الكثير من الخواطر تغزلاً بالطبيعة، ولكن بالنهاية أحب أن يكون لخطابي ارتباط بما يُرسل، لتكون رسائلي كدواء لكل داء يُلاقيه.

.....

صباحك سعيد يا صاحب الدار الأول لساعي البريد. لا أعلم إن كنت متحمسًا لأخبارك عن موعد أمس أم لا، ولكني محبط مما حدث بالأمس، حيث كان هناك تجمع كبير بين الأصدقاء، ولكنني شعرتُ أنني غريب عنهم. لم أكن على تواصل دائم معهم، ولقد لاحظتُ النفاق في أعينهم والتربص لبعضهم بعضًا. أردتُ الانسحاب من بينهم لكي لا يطولني حقدهم، ثم بدا لي أن انسحابي لم يكن على هوائهم. والآن، أسألك: أيكون الانسحاب المباشر خطأ ليلومنا الآخرين على وقاحة التعبير أم النفاق وتلوين الوجوه؟ ولكن عذرًا، خذ بعين الاعتبار أنني لا يمكنني التلون بلون غير طبيعتي، لذلك تركتُ لهم الحرية في القبول بما أنا عليه أو الانسحاب. فأنا لم أتوقف عن التعبير بحرية عما أشعر.

.....

في بلاد بعيده

أعـدت الخطـاب إلـى مكانـه فـي تنهيـدة متعبـة، فمـا أصـعب أن تشـعر أنـك غريـب بـين أنـاس كنـت تظـنهم موطنـك، ثـم تختلفـان وتشـعر أن أحـدهم احتلـه لأنـك لا تصـدق أنـه قـد لفظـك بعيـدًا عنه.

طالعت آخر خيط من الغروب ورحلت عائدة إلى منزلي أخط له خطابًا بقصة جديدة أخشى أنها قد تكشف أمري.

.....

أيهـا العزيـز صـاحب الـدار الأخيـرة، لسـاعي البريـد اليـوم سأروي لك قصة قصيرة عن تغيير موازين الدنيا.

فـي بـلاد بعيـدة، كـان يعلـو بهـا صـوت الحـق عنـدما كـان يحيـي أصـحابه. انقلبـت المـوازين وأصـبح صـوت الحـق خجـلاً وضـعيفًا بعـدما مـات أصـحابه. فعلـي صـوت الكـذب، والظلـم، والنفـاق، والفسـق، والفجـور. كـل تلـك الأصـوات شوشـت علـى صـوت الحـق حتـى أصـبح وهجًـا خفيضًـا فـي قلـوب قليلـة يكـاد ينطفئ في أي وقت.

نصـيحتي لـك: إن كـان لـديك ولـو بـذرة مـن صـوت الحـق، حـافظ عليهـا و اروِهـا بمـاء عـذب حتـى تكبـر، ولا يغـرك الرخـاء الـذي يعيشه الظالمون.

.....

ليس عبثاً

فـي صـباح جديـد، كالعـادة، تبادلـت الخطابـات مـع سـاعي البريـد، وتلك المرة شرعت في قراءة الخطاب مباشرة.

.....

مرحبـا يـا صـاحب الـدار الأول لسـاعي البريـد، اليـوم قـررت أن أهـدي لـك هـذا الخطـاب ولـم أدوشـك بحـالتي المزاجيـة المتقلبـة، فـلا يوجـد حـل لشخصـية متقلبـة مثلـي، خاصـة تلـك النوبـات اليائسة من الحياة؛ إنها أسوأ المشاعر على الإطلاق.

خطـابي اليـوم نصـيحة أحببـت أن أخبرهـا لكـل شـخص يقلـل مـن نفسـه، ولكنـي لا أمتلـك الجـرأة لقولهـا علـى العلـن، فكانـت مـن حظك.

يـا صـاحب الـدار، لا تتعجـل، فجميـعُ الأشـياءِ التـي نسـعى ونجتهـد للحصـول عليهـا تـدوم ويـدوم حُبُّنـا لهـا، لـذلك لا تجعـل الوصـولَ إليـك سـهلاً، وكُـن محاربًـا حـين تُريـد شـيئًا، لا تعتـد الأشياء سهلة الحصول؛ فهي تذهب بنفس السهولة.

قـد تكـون رسـالتي بـلا قيمـة الآن، ولكـن تـذكر دائمًـا أن الكلمـات التي نصادفها لا نتعثر بها عبثًا.

سلامي إليك إلى أن نلتقي في خطاب جديد.

.....

أتعجب كثيرًا من تأثير خطاباته على حالتي المزاجية، ليس لقدرته على اختيار كلمات تحيي نصوصه، بل لشعوري أن هناك رابطًا خفيًا بيننا يقوى في كل ليلة تمر عليه.

وبما أنه أسعدني تلك المرة واقتبس نصيحة مثل رسائلي، فستكون رسالتي أيضًا مميزة هذه المرة، وعلى عكس العادة.

.....

أيها العزيز صاحب الدار الأخيرة لساعي البريد، بالأمس كنت في رحلة مع الطبيعة، واليوم اقتبست كلماتي منها.

في يوم ما ستكون لحظات الغروب الأجمل، لحظة انتهاء كل شيء، اللحظات الأخيرة واللمسة السحرية التي ستنقلك من جو مليء بالحرارة وأحداث متصاعدة متكاثفة على نفسك، إلى ذلك المنظر البديع الذي يمثل انتهاء كل صراع مررت به. لذلك، النهايات دائمًا جميلة، على الأقل من وجهة نظري، وأتمنى لك هذه المرة أن تكون نهاية ما بدأته سعيدة، لكن الأهم أن تكون على علم بما تريد.

.....

لحظات صمت وضبت بها الظرف، قطعها طرق الباب. وقفتُ أتجه إليه وأنا عاجزة عن تخمين هوية الطارق، ومن الغرابة حقًا رؤية زوج والدتي أمامي. وإن قلت إنه آخر شخص أتوقع قدومه إلى منزلي في العالم، فيجب التصديق أنني لا أبالغ. خرجت من منزلي بعدما استمعت لسبب قدومه، ولا أعلم إن كنت سأعود إلى منزلي قريبًا أم لا. وأثناء رحيلي، حرصتُ جيدًا على وضع الظرف داخل صندوق الرسائل حتى يصل إليه.

النرجسيةِ أم الدنيويةِ

التاسع من يناير

الغيوم اليوم متكاثفة في السماء كقطن أبيض، لوث بالغبرة، تنذرنا باقتراب المطر. جلستُ أكتب خطابًا اليوم قبل قدوم الساعي، فليلة أمس كانت مرهقة، رغم أنني أحرزتُ نجاحًا، ولكني شعرتُ بأنه بشع. كيف يعجب به الناس؟ لقد تغير شعوري للعكس بعدما كنت أحبه. والآن أرغب في التعبير عما شعرتُ في هذا الخطاب.

.....

كيف حالك يا صاحب الدار الأخير لساعي البريد؟ لعلك بأفضل حال. اليوم سأخبرك عن شعور سيء يراودني، يكدّر عيشي، وكلما اتخذتُ دربًا جديدًا، ينتابني شعورٌ أنني أفعل شيئًا عظيمًا ومميزًا لم يقم به أحدٌ، وسينال إعجاب الجميع. في لحظاتٍ ينقلبُ هذا الشعورُ إلى الخوفِ، السخطِ، والتقليلِ مما فعلتُ. حقًا، لا يمكنكَ تفسيرَ ذلكَ التناقضَ بينَ النرجسيةِ والدنيويةِ، كيف يجتمعانِ في لحظات. ولعلك شعرت بما أقول وتقدّر مشكلتي.

.....

لحظات وجاء ساعي البريد يأخذ الخطاب من الصندوق ويضع آخر. كنتُ أقف موارب الباب أراقب رحيله حتى ابتعد بما يكفي، فقمتُ بأخذ الظرف، أمزق طرفه وأخرج الخطاب لقراءته.

ليلة مُمطرة

العاشر من يناير

كانت السماء صافية هذا الصباح بعد ليلة مروعة مع الأمطار الغزيرة، فكل قطرة جعلت الحي كأنه يتنفس. المباني متألقة بالألوان الأكثر حيوية، ولم تعد باهتة، والأشجار زاهية، كل شيء جميل في هذا الصباح عدا أن خطابي اليومي لم يأتِ، ومع ذلك قمت بإرسال خطابي المدون به التالي.

.....

مرحبا يا صاحب الدار الأول لساعي البريد، أتساءل إن كنت تستمتع بهذه الأجواء الشتوية. بالنسبة لي، ليلةٌ مُمطِرةٌ من ليالي يناير تكفي لمحو تعكر مزاجي. وعلى هذه الذكرى، فقد جلستُ مع نفسي في مناقشة طويلة انتهت بحكم نهائي سأضعه نصب عيني دائمًا. أتريد معرفة القرار؟ سأقول لك، وأتوهم أن لديك فضولًا للمعرفة. لقد أقنعت نفسي أنني لا يجب أن أحزن على أخطائي الحالية، وأدركت أنه سيأتي يومٌ وأتذكرها مقهقهاً على سذاجتي. سأكون سعيدًا من الآن بتحسين حالي من بعد تلك التجارب، فلو لم تكن هذه التجارب، لما أصبحتُ ناضجًا، ولما تطورت. فإن لم تشعر أنك أفضل من الأمس، اعلم أنك ما زلت في مكانك، لم تخطُ ولو إنْش للأمام.

إلى اللقاء في موعد آخر مع خطاب جديد.

.....

من يدعون الحب

الحادي عشر من يناير

يوم آخر دون خطاب، يبدو الانتظار شيئًا مزعجًا حتى إنني ترددت في إرسال خطابي، ولكن مع ذلك أرسلته وأنا أفكر بكل كلمة كتبتها. أكان يجب ذكر تلك القصة، وهل سيظن أنني أسخر من النساء؟

.....

ما دون داخل الخطاب:

يوم سعيد يا صاحب الدار الاول لساعي البريد. سأحكي لك عن ما حدث لي أمس حين كنت أتمشى في بستان مليء بالزهور ورأيت أنها تبدو جميلة للحد الذي يدفعنا لارتكاب جريمة بحقها وقطفها. ومن هنا جاءت رؤيتي لبعض الأشخاص، أننا من حسن مرافقتهم ولين قلوبهم نقطف من عمرهم لحظات تحزنهم. وعلى ذكر الحزن، فقد تعثرت في فتاة تبكي أسفل شجرة، ولا أعلم أكانت ثرثارة أم أنها حبست معاناتها بعيدًا عن الأعين الفضولية كثيراً، للحد الذي جعلها تفرغ هذه المعاناة على أي شخص عابر، وإن كان من جنس من تسبب في آلمها. لم أكن مهتمًا بسماع قصتها، ولكنها كانت تحتاج لأحد يسمعها وشعرت بها وتعاطفت معها لأنني مررت بما تمر به من قبل. ولكني لم أجد من يستمع لي. ما تعجبت منه هو سذاجتها في الحب، وعينيها اللتين وضعت عليهما الوشاح بذاتها كي لا ترى. لقد كانت على علم بمن يدعون الحب وكيف يخدعون الفتيات، ولكنها اختارت أحدهم ووثقت به، وأقسمت أمام العالم أنه غير. ثم بعد ذلك ماذا

حـدث؟ انتهـت رحلتهـا بمأسـاة كبيـرة، تجلـس أسـفل ظـل شـجرة تحادث المارة بألا يثقوا بأحد، فجمعهم خائنون.

إن خطـابي اليـوم مـؤلم ولكـن لـيس علـى أحـد غيـر الـذين خـذلوا من الحب. إلى اللقاء يا صاحب الدار الأول لساعي البريد.

.....

هدوء ما بعد العواصف

الثاني عشر من يناير

.....

مرحبا يا صاحب الدار الأول لساعي البريد، أكاد أفتقدك وأفقد خطاباتك. إنني في ريب من هويتك وأخشى تكذيب شعوري اتجاهك. اليوم سأحدثك على أنك من ترسل الخطابات لصاحب الدار الأخير لساعي البريد. ما يقلقني هو هدوءك. من الطبيعي أن يثير الهدوء الرهبة في قلوب البشر، ويُفسَر الهدوء دائماً بأنه "هدوء ما قبل العاصفة"، ولكن ما يثير الرهبة بداخلي حقاً هو الهدوء ما بعد العواصف، انعدام الصرخات بعدما كانت تعم بكل أرجاء الكون، اهتزازات الأشجار وسقوط ثمارها. الهدوء الذي يجعلني أشك أنني انتقلت بمنازلي وسط سكون المقابر. الأمر مرعب أكثر مما تخيلت، لذلك لا أحب هدوءك، وآمل أنك بخير وأن ترسل لي خطاباتك، فطالما كنت الشخص المتوهج دائماً المليء بالطاقة الإيجابية. وحين شهدت ليالي انطفائي جعلتني أتوهج، ولكن اليوم أنت من يطفئ توهجي.

عد إلي يا صاحب الدار الأول لساعي البريد.

.....

طويت المرسال ووضعته في الصندوق وقلبي يرتعش مما يفعله المنطق من مخططات قد تقضي علي حياتي.

السيدة المجهولة

الثالث عشر من نيسان

.....

مرحبا يا صاحب الدار الاول لساعي البريد، أريد بذلك الخطاب وصف مجلسي وحالتي. إنني جالسٌ بغرفتي منكبٌّ على المكتب لأكتب لك، ومن بين الظلام المحيط بي، تتوهج السيجارة وتحرق نفسها، أما أنا فـ أنا في قمة اكتئابي من اختفائك المفاجئ، حتى أنك لم تترك وداعاً في آخر خطاب. وقد بلغتك قرارات كثيرة اتخذتها في حياتي، واليوم أبلغك أن هذا آخر خطاب، من الآن لن أحدثك بصفة المجهول. هويتك في عقلي هي سيدة شابة، ولكنها أخذت من تجارب الحياة ما يجعلها ناضجة الفكر، لا تتخذ قرارتها بما يريده قلبها، وكذلك اقتبست منك اليوم تلك الصفة وأدعس فؤادي وأنا أقر بأنني بعدما كنت غارقاً في بحر الملذات المخادع ترطمني أمواجه من كل صوب، إنني لم أنسل وراء خطاباتك مرة أخرى، ولم تحيي دور الحورية المحرمة على بني آدم بعد الآن، ولم أكن مجذوباً كالأحمق في عالم الخطابات مرة أخري، فما هي إلا خداع يقيدني بشدة، يرفض رحيلِي وأرفض هجرانه، كإدمان محبوبٍ لي من نكسات الواقع، حسراتٍ على أيام مقبلة بالظلام لم يكن بمقدرتي رسمها في غرفَي؛ ولحسن الحظ قدّمتِ دوائي على هيئة نصائح في خطاباتك لأجد الشفاء من هذا الداء. كنتِ كشمس الصباح تخترقين ذرات الماء المحيطة بي في عمق الظلام، وجعلتني أتجرأ لأول مرة بأن أنزع قيود اليأس وأطفو على الشاطئ كلاجئ وصل إلى بر الأمان. أول خطواته التمسك بالواقع، وأنت لست بواقع أيها السيدة.

لــم أذكــر الــوداع مــن قبــل، ولكنـــي الآن أقولــه للمــرة الأولـــى:
وداعاً سيدتي المجهولة.

.....

العودة للديار

فـي رتابـة شـديدة توالـت الأيـام حتـى مضـى عشـر ليـالي خـارج منزلـي، وبتلـك الليلـة الأخيـرة عـدت إليـه بجسـد هزيـل. دارت عينـاي فـي الحجـرة، استكشـف تنـاثر الغبـار فـي كـل مكـان حتـى وقـع بصـري علـى الخطابـات، فهرولـت إلـيهم فرحًـا، فقـد باتـت كإدمـان لا يمكـن الإقـلاع عنـه. بـدأت أقـرأهم واحـدًا تلـو الآخـر حسـب تـاريخ الإرسـال حتـى وقـع بـين يـدي خطـاب الـوداع، يبـدو سـاخطًا وغاضـبًا مـن عـدم تبـادل الخطابـات. بحثـت بـين تـواريخ الخطابـات وحـول المنضـدة إن كـان قـد تراجـع عـن حديثـه وأرسل خطابًا بعده، لكن لم أجد شيئًا.

نظـرت إلـى السـاعة؛ كانـت التاسـعة والنصـف صـباحًا، بقـي نصـف سـاعة علـى قـدوم السـاعي، وفـي عجلـة بـدأت بكتابـة خطـاب لـه. حاولـت كثيـرًا أن أتحكـم بمشـاعري الجياشـة حتـى أتمكـن مـن كتابـة خطـاب مرتـب، ويبـدو أننـي لـم أنجـح بشـكل كامل.

.....

مرحبـا يـا صـاحب الـدار الأخيـر لسـاعي البريـد، أم يجـب علـيّ قـول الرجـل المجهـول كمـا تلقبنـي؟ أتسـاءل الآن إن كنـت مـن الـذين يعـذرون النـاس حـين يقـع علـى عـاتقهم بـلاء ويعجـزون عـن التواصـل مـع العـالم الخـارجي. وبمـا أنـك وصـفت حالـك، سأصـف لـك حـالتي أيضًـا لعلـك تخمـن مـا أنـا عليـه وسـبب اختفـائي الـذي تعاتـب عليـه بشـكل خفـي. إننـي للتـو دخلـت إلـى منزلـي بعـد غيـاب عشـر ليـالي بجـوار والـدتي المريضـة.

تتـراقص الأتربـة مـن حـولي وتكـاد تصـيبني بـالربو، ومـع ذلـك أجلــس وأكتــب لــك. خطابــك الأخيــر أحزنـــي كثيــرًا، ولكنـــي أعـذرك وأضـع لـك مبـررات. ومـع ذلـك، أنـا ممتنـة لانقطـاعي عـن إرسـال الخطابـات، وإن كـان خـارج إرادتـي. فلـولا اختفـائي مـا كنـت عبـرت عـن شـكوكك فـي هـويتي، والآن بعـدما أكـدت لــك هــويتي، ألــم يحــن موعــد اللقــاء علــى أرض الواقــع، ولا نكون عابرون في خطاب؟.

.....

اعتراف

صباح اليوم التالي

لـم يجيـب علـى خطـابي، وأنـا امـرأة جـادة لا تجيـد المماطلـة، لـذلك كـان الخطـاب الجديـد عبـارة عـن تـوبيخ عـن فعلتـه، خاليًـا من الرسميات.

.....

مـن قلـة الـذوق أن تتلقـي خطـابي ولا تجيـب، ولا تقـول إننـي لـم أكـن واضـحة معـك مـن قبـل، فـإن لـم أرد تـرك الإشـارات لـك لمعرفـة هـويتي لكنـت فعلـت، وإن لـم أكـن أهـتم لأمـرك لمـا ابتـدعت خطابـات لـك. بكـل شـيء مـن حـولي أرادت أخبـارك بحبـي، إلا أنـك لـم تريـد الاعتـراف بـه، وظلـت تتحاشـي شـعورنا. قلبـك فـارغ وسَـيَظل فارغًـا لأن لا أحـد فـي هـذا الكـون يسـتطيع حبـك كمـا أحببتـك، لا أحـد يسـتطيع مـلء فـراغ قلبـك غيـر حبـي. لـذا، أمـا أن تبـادلني الحـب وتقبلنـي فـي وجـدانك، ليكـون أنـا أنـتَ، وأنـتَ أنـا، أو يكـون هـذا آخـر خطـاب بيننـا ولا لقاء من بعد ذلك لا بين الخطابات ولا غير ذلك.

.....

قد حان

استيقظت هذا الصباح على طرقات على النافذة. نهضت من الفراش أتواري خلف الستار المزركش، أطلعت للخارج فكان الطارق ساعي البريد. اعتدلت وفتحت النافذة، فأعطى لي الظرف وهو يتمتم بثغر مبتسم: "ها قد خرج السيد من قلعته، يؤكد على تسليمك الخطاب يدًا بيد." ابتسمت علي داعبته، ثم عدت للداخل، وتلك المرة قلقة من النبش في محتويات الخطاب. فالمرة الأولى كان مجهولًا، ودفعني الفضول. أما هذه المرة فلم يعد كالسابق، أخشي تعلقي وأن أجد ما يفطر قلبي، ولعل تلك الرسائل جعلتني مجنونة تغرم بالغرباء! بدايتها خطاب عشوائي ونهايتها ستظل مجهولة ما لم أقرأ آخر خطاب. تنهدت وشرعت في القراءة.

.....

مرحبًا أيتها السيدة الشابة، لماذا أصابك غضب اليأس؟ فما أحببت كان كتابتك المتفائلة، وما بغضت في حياتي أكثر من أفكاري السوداوية. ما كنت قاصدًا عدم الرد في المرة الأولى، وما كنت أتوقع خطابًا مليئًا بالتشكيك في شعوري تجاهك. قد لا نعرف وجوه بعضنا، ولكننا ندرك جديًا أن قلوبنا تعاهدت على السير معًا. في خطاب العودة، تساءلت: ألم يحن موعد اللقاء؟ الآن أقول لك: قد حان، فبأي بقعة من هذه البلاد تريدين أن نلتقي؟

.....

عندما أنهيت قراءة آخر الأسطر، رميت الخطاب في الهواء، حيث راح يتراقص كالبجع في سماء خريفية. إنه أسعد يوم

فـــي حيـــاتي؛ فـــامرأة مثلـــي تجـــد صـــعوبة فـــي إيجـــاد الحـــب الحقيقي، من المستحيل أن يغرم بها شخص دون أن يراها.

وهـا أنـا هنـا، أعـيش لحظـة مـن السـحر، حيـث تتـآلف الأرواح وتنسـجم الأفكـار، ويتحـدان كأنهمـا جـزء مـن نغمـة موسـيقية، تتنـاغم بـين الضـلوع وبـين الهمسـات. ومـا بقـي بعـد ذلـك سـوى اتحـاد الأجسـاد، وفـي تلـك اللحظـة، شـعرت أن الحـب لا يقتصـر علـى المظـاهر ولا يتطلـب إلا القلـوب التـي تعبـر عـن نفسـها بحرية.

فـي تلـك اللحظـة، أدركـت أن الحـب يـأتي أحيانًـا مـن أمـاكن غيـر متوقعـة، حيـث يختلـف المقيـاس ولا يُقـاس بـالعيون التـي تـرى، بـل بالمشـاعر التـي نستشـعرها. كـان لـدي شـعور بـأن المسـافات لا تعنـي شـيئًا أمـام قـوة هـذا الاتصـال، وكـأن كلمـات تلـك الخطابـات كانـت جسـرًا يـربط بـين عـالمي وعالمـه، محوِّلـة كـل الحواجز إلى وعود، وكل الشكوك إلى يقين.

اللقاء

بعد يومين

مع شروق الشمس، كنت أشق طريقي إلى أعلى تلة في هذه البلدة الصغيرة، وأتخذ منحدرًا باتجاه الشمال بين الأشجار حتى توقفت أمام مجرى النهر. وهناك رأيته واقفًا، كما لو كان جزءًا من تلك الطبيعة الخلابة التي تحيط بنا. كان طويل القامة، وظهره مائل قليلاً إلى الأمام كأنه يتأمل شيئًا في مياه النهر المتدفقة. عطره النفاذ، الذي استنشقت منه شذى البرية والليل، كان يجذبني نحو قربه.

شعره الأسود كان يلمع تحت أشعة الشمس، ويسقط على كتفيه بشكل غير متناسق، فيمنح محياه لمسة غامضة، وملابسه السوداء، كانت تتناغم مع الظلال المتخللة بين الأشجار، يبدو وكأنه مجرد ظل.

بدت عليّ مشاعر متضاربة؛ من جهة كان قلبي يخفق بشدة، ومن جهة أخرى كان هناك خوف من الاقتراب. هل سأكون قادرة على تجاوز حاجز الصمت الذي يفصل بيننا؟ فكان سكب المشاعر على الأوراق أسهل بكثير من المواجهة، فلم أكن يومًا تلك الفتاة التي ترافق الرجال وتبحث عن زوج، لقد كنت دائمًا امرأة متخفية في زي الرجال وطبائعهم.

ترددت في خطواتي قبل أن أشجع نفسي وأتقدم نحوه. "مرحبًا!" همست، وكانت الكلمة مثل ورقة خريف تتراقص في الهواء، آملةً في أن تتلقاها أذنًا صاغية.

التفت إلي مبتسمًا، تأمل هيئتي، وخاصة عيني الزرقاوين، اللتين عكستا توتري. بعد لحظات من التأمل، تحدث قائلاً: "لا داعي للارتباك، أظن أننا نعرف بعضنا بشكل كافٍ." اقتربت منه، وعيوني مشدودة إلى عينيه: "أتظن ذلك؟"

أكد لي وهو يسير على ضفة النهر، بينما كنت أتبع خطواته، راودني سؤال عن طفولته، فنظرت إلى جانب وجهه وقلت: "ما أكثر شيء رغبت في الحفاظ عليه؟".

استمعت إلى نبرته الصادقة ونحن نمر للضفة الأخري: "روح الطفولة هي أكثر ما رغبت في الاحتفاظ به، لكن قسوة العالم من حولي ترهبها."

تمتمت بينما كنت أتذكر مقتطفات من طفولتي: "أرى أن تلك الروح لا تغادرنا، لكنها تختبئ في مكان آمن. فالإنسان يحب اللهو في جميع مراحل عمره، فلدينا الأطفال الذين يتلاعبون بالدمى، وأيضًا الكبار الذين يتلاعبون ببعضهم."

استمر في النظر إليّ وعيناه تبتسمان: "لم أخطئ عندما قلت إنكِ مررتِ بتجارب كثيرة جعلتكِ شابة ناضجة." صمت قليلاً نتبادل النظرات قبل أن يواصل أسئلته: "إن كنا سنتزوج، ماذا يمكنك أن تقدمي لي؟"

أجبت عليه، وفي عيناي دهشة لم أتمكن من إخفائها: "أعلم أنني سأكون نورك في كل شيء، إلا إذا سعيت إلى إطفاء وهجي، فسوف أتركك تتخبط في الظلمات."

كان يستمع لي بتركيز، تبسم بخفة، وعندما رددت إليه نفس السؤال، تنحى جانبًا يفرغ الطريق أمامي، طالبًا في ود أن أتقدمه، وأغمض عيني حتى يتمكن من الإجابة، وفي غفلة وافقت، وابتسمت بينما أغلق عيني.

لكنني شعرت فجأة بصقيع نصل السكين على عنقي. اتسعت عيناي رعبًا، تخرج أحرفي مرتجفة: "ماذا تفعل، يا هذا؟"

استمعت إلى صوته البارد: "أقوم بعملي."

تساءلت بدهشة، محاولًة النظر في عينيه: "وما هو عملك؟" شدد النصل على نحري، أجابني بسخرية: "صائد جوائز، يا أوليفيا."

وهنا أدركت الفخ الذي وقعت فيه، فتحدثت معه في محاولة لإلهائه عن تسلل يدي بين طيات الفستان: "يبدو أنك على معرفة جيدة بي، وأنا البلهاء التي وقعت في الفخ. ألا تظن أنه يحق لي معرفة اسمك، أيها الوسيم؟" أنهيت حديثي، وقد أسدلت عيني، واستخرجت خنجري، لكنه قام بثني ذراعي وأسقطه أرضًا، يهمس بجوار أذني: "لا، لا، سيدة ذكية مثلك لا تفعل تلك الحماقات."

قهقهت في خيبة: "لماذا خدعتني؟ أكانت كل تلك الخطابات كذبة؟"

أجـاب بوضـوح: "خـدعتك كمـا تخـدعين ضـحاياك. لأن امـرأة خطيـرة مثلـك تسـرق وتختطـف مـن أجـل الفديـة، كانـت صـيدًا صـعبًا للجميـع. لكـن مـا كُتـب فـي الخطابـات لـم يكـن كذبـة، والآن يمكنني الاعتراف بأنكِ أثمن وأكثر صيد تمتعت به."

بثقـت عليـه فـي غضـب: "لـم أُؤذِ أحـدًا، لقـد كنـت أسـلب اللاشـيء من ثرواتهم التي لا تنتهي."

أجـابني: "هـذا لـيس مبـررًا، هـذه الأمـوال لا تحـق لـك." تنهـد وأضـاف يخيّرنـي: "لأنـي رحـيم، أخيـرك. هـل تفضـلين أن تـذهبي للمحاكمـة علـى قيـد الحيـاة وتُشـنقين حتـى المـوت، أم أنهي حياتك الآن دون عذاب؟"

طالعتـه بعينـين تلمعـان بالـدموع: "أريـدك أن تنهـي حيـاتي بيـديك، لـيس خوفًـا مـن آلام المـوت، بـل لـيكن قـاتلي هـو حبـي الوحيد."

سـخر مـن كلمـاتي يهـز رأسـه فـي لا مبـالاة: "لا تكـوني دراميـة. لا أحد يحب أحدًا من خلال خطابات."

همست بشعور عميق من الندم: "ولكنني فعلت."

نظـرتُ إليهـا، والصـمت يلفّنـا وكـأن العـالم قـد توقـف حولنـا. بعـدما تأكـدت أننـي لا أملـك خيـارًا آخـر، همسـت لهـا: "لـك ذلـك"، ورفعـت السـكين مـن علـى عنقهـا، وجعلـت النصـل موجهًـا نحـو وجههـا، قبضـت عليـه بقـوة، وبـدون تـردد، ارتفعـت قبضتي ثم عادت تغرز السكين بقوة في قلبها.

شـــاهدت اتســـاع عيناهـــا، وخـــروج اخـــر شـــهقاتها فانقبـــاض الـــروح، ولحظـــات وانغمســـت عيناهـــا فـــي ظـــلام، تتلاشـــى أنفاسها، وفي بطء كان ثقل جسدها يشدني نحو الأرض.

اســتجبتُ لتلــك الجاذبيــة، وفــي رفــق، ســطحت جســدها علــى العشــب الأخضــر الــذي امــتص دمائهــا كمــا لــو كــان يحــاول أن يُحــافظ علــى ذكــرى وجودهــا. بينمــا كنــت أشــعر بخــواء قــاسٍ يمتــد داخــل صــدري، وقفــت أســير إلــى شــجرة ضــخمة، حيــث اســتخرجت شرشــفًا أبــيض، ولففتهــا بــه، ثــم قمــت بحملهــا برفــق نحـــو حصـــاني، وامتطيـــت الفـــرس، وانطلقـــت إلـــى وجهتـــي الجديــدة، وجســدها هامــدًا أمــامي يتمايــل فــي تخشــب علــى ظهــر الفرس.

بعــد ســاعتين مــن الســير تحــت شــمس منتصــف النهــار، وصــلت إلــى مركــز البلديــة. ســلمتُ الجثمــان واســتلمتُ جــائزتي. أخــذت الســرة الماليــة التــي حصــلت عليهــا، قلّبتهــا بــين يــدي وأنــا أنظــر إلى الصيد الجديد عبر نافذة الحانة.

"تــذكر دائمًــا أن المــاكر هنــاك الأكثــر مكــرًا منــه، فــلا تكــن أيًّــا منهم، لكن احذر أن تكون محاطًا بهم."

النهاية